المجاز العقلي في ديوان السباعيات للشاعر النيجيري عيسى ألبي أبي بكر: دراسة تحليلية بلاغية

مجتبى يوسف بتوري

قسم اللغة العربية، كلية الآدب . جامعة إلورن

و

الدكتور سليمان عبد الله قدوس

المقدمة:

تعتبر المجاز من أهم موضوعات علم البلاغة، خاصة الجانب البياني، كما أنه موضوع اختلف العلماء حوله، من حيث الإنكار والإثبات. فقد أقر أغلبية قصوى من اللغويين والبلاغيين، وأوضحوا ما له من قيمة دلالية وتداولية في النصوص الدينية والأدبية وكذلك في الكلام العادي. قد استنشر في ديوان السباعيات للشاعر عيسى ألبي أبوبكر مجازات بأنواعها المختلفة، ولها دور في توثيق دلالات الأبيات الشعرية التي وردت فيها، ولما للمجاز خاصة المجاز العقلي من دور في دلالات في شعر عيسى ألبي وتداوليته قام الباحثان بهذه المقالة. قد افترضت طبيعة هذه المقالة استخدام المنهج الاستقرائي التحليلي.

وتدور المقالة حول العناصر التالية:

- نبذة تاريخية عن الشاعر عيسى ألبي
- عرض موجز لديوان "السباعيات"
- دراسة نظرية للمجاز العقلي
- دراسة تطبيقية للمجاز العقلي في ديوان السباعيات

نبذة تاريخية عن الشاعر عيسى ألبي أبوبكر

شهد الشاعر الدّكتور عيسى ألبي نور الحياة عام ١٩٥٣م بمدينة كُماسى، في دولة غانا، إحدى الدول الأفريقية الغربية. وقرأ القرآن الكريم، ومبادئ الدراسات العربية الإسلامية على يدي مشايخ إلورن. وحصل على الشهادتين الإعدادية والتوجيه بمركز التعليم العربي الإسلامي، أغيغي، لاغوس،

نيجيريا، وذلك في عام ١٩٧١م. وبعد ذالك حصل على شهادة الدبلوم في اللغة العربية بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا، وتخرّج فيها عام ١٩٧٩م، وفي السنة نفسها واصل دراسته في جامعة إلورن، نيجيريا حيث تخرّج منها حاملا شهادة الليسانس في اللغة العربية وفي عام ١٩٨٥م، عاد إلى جامعة بايرو، كانو، وأكمل دراسة الماجستير في اللغة العربية عام ١٩٨٦م، ونال شهادة الدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها من جامعة الملك سعود بالرياض وذلك في عام ١٩٩١م حيث فاز بجوائز الشاعر الفائق في مسابقة شعرية على موضوع "السيجارة"، وفي الفترة ما بين عامي ١٩٩٦و ٢٠٠٠م أكمل الدراسة في جامعة إلورن، بنيجيريا لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية[١].

عرض موجز لديوان السباعيات

يحتوي هذا الكتاب الشعري على مائة وسبعين بيتا، سجل فيه الشاعر مشاعره وخواطره الشخصية وانطباعاته حول قضايا الساعة الوطنية والعالمية زهاء عقد من الزمن "١٩٩٤-٢٠٠٥" أمسك نفسه خلال ذلك عن الإنتاج سبع سنين (١٩٩٦-٢٠٠٣) تناول الشاعر حوالى تسعة عشر موضوعا يتصدرها الوصف بنيف وخمسين سباعية يليه الهجاء والذم، ثم الشكوى والمدح بحوالى خمس عشرة، وذكريات الماضي بسبع والفخر والاعتزاز بست والباقية تناول النصيحة والحنين وتمجيد الله وتوحيده والحكمة والرثاء والشعر الإنساني والقضايا الوطنية والترحيب والتصوف والفلسفة[٢].

دراسة نظرية للمجاز العقلي

اهتم بعض علماء البلاغة المجاز العقلي، وتناولوه في إطار الحديث عن موضوعات علم المعاني، كما صنع الشيخ عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) والقزويني في (التلخيص)؛ نظرًا إلى أنه قسم من الإسناد، والإسناد وما يتصل به من مباحث علم المعاني، وكان كثير من البلاغيين يدرجونه تحت علم البيان؛ ذلك لأن المجاز من مباحث علم البيان، وعلى هذا الدرب سار الباحث في هذا العمل، وبالله توفيق الخير.

أجل، قبل الغوص في تحليل النصوص البلاغية الواردة في الديوان المدروس عن "المجاز العقلي" إنه من الأجدر كشف اللثام عن أمر مهمّ ألا وهو اعتبار بعض الدارسين المجاز: كلمة نقلت عن إعرابها الأصلي إلى غيره كحذف لفظ "أهل" في قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[١٠]. أي: أهلها، فإعراب القرية في الأصل هو الجر، فحذف المضاف وأوتي المضاف إليه إعرابه، ونحو

قوله عزّ من قائل: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[١١]، أي: أمره، وكذلك قولهم: "فلان تطؤهم الطريقة" أي: أهلها[١٢].

والراجح المقبول هو: أن المجاز فن بياني مستقل عن الحذف الإعرابي يدل معناه على الشمول، قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: "وإنه ليس بالوجه أن يعدّ هذا على الإطلاق ما حذف منه المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه مثل قوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾[١٣]، وإن كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف، ويقولون في تقدير "فإنما هي ذات إقبال وإدبار" في قول الخنساء:

تَرْتَعُ مَا ارْتَعَتْ حَتَى إذَا ادَّكَرَتْ * فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

وإنما تجوزت أن جعلتها لكثرة ما تقبل، وتدبر، ولغلبة ذلك عليها، واتصالها بهما، وإنه لم يكن لها حال غيرهما، كأنها قد تجسدت من الإقبال والإدبار."[١٤]

وعلق على الرأيين أو القولين عبد الباقي بهذه العبارة: "ومن الملحوظ أن الرأي الأول تضييق على الأبواب البيانية، وعود على بدإ لباب الذكر والحذف، ولئن قيل إن هذا الإيجاز، والإيجاز بلاغة، أجيب بأن الصور البيانية كلها إيجاز، ولهذا يستقيم اختيار الرأي الأخير إذ هو أنسب للروح البلاغية"[١٥].

يتجلّى واضحًا أن المجاز العقلي لا يكون هو في الكلمة نفسها، فالكمة لم تخرج فيه عن وضعها اللغوي بعد، وإنما يكون في الإسناد، فهو "إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له"، والمقصود بهذه العبارة أي "ما في معناه" هو ما في معنى الفعل كاسم الفاعل، واسم المفعول، وما يشبههما، ألا ترى أن هذه أيضا تعمل عمل الفعل.

وتمس الحاجة إلى الوقفة البارعة مع العبارة: "لغير ما وضع له" لمزيد التوضيح ومحاولة التبيين لهذه الجملة، يعرض بعض الأمثلة الباحث قائلًا: إذا قلت: "سال الماء في الوادي"، "فاض الماء في الكأس"، "فاطمة صائمة هذا اليوم"، "محمّد قائم ليلته"، "نبت البقل في فصل الربيع"، "نحمي أرضنا بالإيمان والشجاعة".

إذا وقفت أمام هذه الجمل واحدة بعد أخرى، تدرك أن الإسناد في كل منها إسناد حقيقي، فهو إسناد الفعل أو ما يشبهه لما هو له، ولكن سعة اللغة وفن التعبير يكسبان الكلام زهوًا وبهاء حيث يمكن تغيير العبارات السالفة الذكر وتقول: "فاض الكأس"، "سال الوادي"، "نهارها صائم"، "أنبت الربيع البقل"، "يحمي بلادنا ضرب السيوف"، "شيّبتني هود وأخواتها"، وفي هذه العبارات المسرودة تجد أنه أسند فيها الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له؛ فإن الكأس

والوادي لم يسيلا حقيقة، وإنما سال الماء الذي فيهما، ومن هنا كان المجاز والعلاقة التي أدّت إلى مثل هذا النوع هو ما بين الماء وكل من الوادي والكأس من صلة وقرب، إذ هما مكان هذا الماء، وهكذا، كما أن الصلة بين الصيام واليوم، والقيام والليل كل منهما زمان للآخر.

وفي تلك الأمثلة ترى أن أفعالًا أو ما يشبهها لم تسند إلى فاعلها الحقيقي بل أسندت إلى سبب الفعل طورًا، أو زمانه حينًا، أو مكانه كرّة، أو مصدره تارة، وأن صفات من حقها أن تسند إلى المفعول أسندت إلى الفاعل، وأخرى كان يجب أن تسند إلى الفاعل وأسندت إلى المفعول، كذلك رأيت أن هذا النوع من الإسناد غير حقيقي؛ لأن الإسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، فالإسناد إذن هنا إسناد مجازي ويسمى بالمجاز العقلي، لأن المجاز ليس في اللفظ كما في الاستعارة والمجاز المرسل، بل في الإسناد، وهذا يدرك بالعقل.

دراسة تطبيقية للمجاز العقلي في ديوان السباعيات

يلاحظ أن الشاعر عيسى ألبي تناول في بعض الأبيات الشعرية المجاز العقلي ومن شواهد ذلك في ديوان السباعيات، إن هذا الديوان يملأ بهذا الضرب البياني في أروع صورة، وأفصح عبارة، ويقتصر الباحثان على نماذج للدراسة والتحليل البلاغي في "هذا الديوان"، يقول الشاعر في قصيدة عنوانها: "ذكرى الهجرة النبوية" ١٩٧٩م:

يَا هِجْرَة كَانَتْ دَلِيلَ تَقَدُّمِ الْـــ * إسلام فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَـــارِ
وَسِعَتْ آفَاق الْعُقُـــولِ مَعَـــارِفًا * حَتَى استفَـــادُوا عَـادَةَ الْأَقْطَارِ
يَا هِجْرَةَ الْإسلام فِيْـــك بِلَا مِـــرا * دَرْسُ الْوِدادِ وَحِــكْمَةُ الْإِيثَارِ
ركَزْت أسًّـــا لِلتَآخِـــي بَيْـــنَهُمْ * فَتَمَتَعُوا بِحَـــلَاوَةِ استقْــــرَارِ
وَنزَعْتِ تَاجَ الْملْكِ بَعْدَ تَمَامِــهِ * مِنْــهُمْ فَصَـــارَ الْعِزُّ لِلْمُخْتَارِ
يَـا هِجْرَةَ الْإسْـــلام إِنَّـــكَ آيَـــةٌ * كُبْرَى وَذِكْرُكِ فَـــرْحَةُ الْأَدْهَارِ
يَا يَوْمَ هِجْرَة يَوْمُ مَنْ يَهْدِي الْوَرَى * بِهِـــدَايَةِ الْقُرْآنِ ذِي الْأَسْرَارِ[١٧].

يبدو من هذه الأبيات المقتطفة من قصيدة تربو أبياتها على خمسين بيتًا ألقاها الشاعر بمركز التعليم العربي الإسلامي أغيغي-لغوس بمناسبة ذكر القرن الرابع عشر للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأنمس السلام، وجه فيها خطابه إلى الهجرة نفسها، وأسندت إليها أفاعيل لم تكن من صنيعتها، جعلها الرمز البارز، والدليل الباهر على تطور الإسلام، وسعة دائرته، وكثرة عدد معتنقيه، وأن هذه الهجرة بالذات أستاذة برعت في التعليم والتربية، ومن جملة الدروس الهائلة التي

قدمتها تتجسد في التعايش الودي، والمعاشرة الطيبة، وإيثار الغير بين المهاجرين والأنصار، ونسيان ما بينهم من فروق فردية، فسعدوا جميعا، وغشتهم الرحمة وطابت الحياة، وصلحت الأحوال، وتلك الهجرة أيضا هي التي لفتت أنظار الناس بما فيهم أهل يثرب أنفسهم إلى أن أحق الناس بالقيادة الرشيدة التي طالما تنشدها البشرية هو الرسول الأكرم، وكيف لا؟ وهو الذي يتلقى الوحي من لدن حكيم حميد، وكيف يتوج أحدٌ غيره ملكًا وهو في المدينة؟

أجل، إذا وقف القارئ العزيز على تلك الأبيات المعروضة واحدًا بعد واحد يجد أن الإسناد في كل منها غير حقيقي لكنه تسوغه سعة اللغة وفن التعبير، انظر إليه كيف أسند توسيع آفاق العقول إلى الهجرة، وهي التي أدت بالعرب أن يقتبسوا من غيرهم من الأمم أصحاب الثقافات القديمة كما في البيت الثاني، وهل من استطاعة الهجرة أن تفعل هذا حقيقة؟ الجواب: لا، وما العلاقة بين الهجرة وتوسيع آفاق العقول؟ وهي تتمثل في أن الهجرة سبب في هذا التوسيع، إذ لولا هجرته -صلوات الله وتسليماته عليه- إلى المدينة لما يزل الإسلام والمسلمون في دائرة ضيقة جدًّا، ولا يتجاوز أفق مكة المكرمة، إذنْ إسناد التوسيع إلى الهجرة إسناد مجازي والعقل هو الذي يحكم بذلك، والعلاقة السببية.

ونفس الأمر في قوله: "زكت أسًا للتآخي بينهم" فإسناد تركيز الأخوة أو التآخي بين المسلمين المهاجرين منهم والأنصار إلى الهجرة مجاز عقلي علاقته السببية، فإن الرسول هو الذي قام بذلك التآخي وسببت الهجرة ذلك.

وكذلك الأمر بالنسبة للبيت التالي له حيث أسند نزع تاج الملك من أهل يثرب إلى الهجرة إسنادًا غير حقيقي، والعلاقة في هذا أيضا لا تزال سببية، وفي البيت بعده أسند الشاعر الفرحة إلى الأنهار، مع أنها غير عاقلة لا تعرف الفرحة وإنما يفرح من فيها على طريق المجاز العقلي ذي العلاقة الزمانية.

ويقول في موضع آخر: (١)

شَيْخٌ يَسُوسُ شُعُوبَهُ وَبِلَادَهُ * بِعُلُومِهِ وَصَلَاحِهِ لَا يُسْبَقُ
إِنَّ البِلَادَ تَنَوَّرَتْ بِصَلَاحِهِ * قَوْلًا وَفِعْلًا لَا يُجَارِي أَشْدَقُ
هُوَ مَنْ يُجَلِّي النَّفْسَ مِنْ أَكْدَارِهَا * إِنَّ الحَقَائِقَ عِنْدَهُ لَا تُسْتَحَقُ
يَا مَرْكَزًا مَلَأَ الأَمَاكِنَ خَيْرُهُ * مِثْلَ العَبِيرِ بِلَا حُدُودٍ يَعْبَقُ
حَقَّقْتَ آمَالَ العِبَادِ فَأَصْبَحَتْ * أَفْوَاهُهُمْ بِالشُّكْرِ دَوْمًا تَنْطِقُ

حَرَّرْتَ أَفْكَارًا مِنَ الأَوْهَـامِ فِي * عَهْدٍ تعسَّرَ أَنْ يُرَى مَـنْ يُعْتِقُ
مَرَّ السِّنونَ عَـــلَيْكَ غَيْرَ مُغَيَّرٍ * فَعَلامَ يَحْسُدُكَ الزَّمَانُ المرْهِقُ[19]

ويلاحظ الباحثان كيف تنهض هذه الأبيات أنماطا راقية من تلك الوجوه البيانية المجازية، تتلخص في نقطة مهمة ظلت تعمل في ذاكرة البيان، وتتردد في أصداء الأدباء والمتأدبين، وهي صورة مجازية تدق بلاغتها، ويعظم رونقها، كونها الملكة من واقع الطبائع تعبيرًا جليلًا عن المعاني التي تحيزت في صدر الشاعر الأديب، على ضوء أسلوبه الراقي من دقة التفسير، وعمق الثقافة.

بالغ في ثناء ممدوحه الشيخ الإلوري، الذي صنع التاريخ، وأجريت على يديه الأعاجيب، وهو الشخص الذي نال من وبله الداني والقاصي، واستفاد منه الحاضر والبادي، ولقد نال من ذلك واستجاب أية استجابة شيخه وسميه آدم نمعجي بقوله: "أدام الله حياة آدم لنفع عباده وتنوير بلاده"[20]. وكان الإلوري لا يصدر منه قول ولا فعل إلا ويكون نورًا يهتدي به الناس في ظلمات الحياة الحالكة، ويبصرون به طريقهم إلى الرقي البشري، والنضوج الفكري، والقيم الخلقية، فقد طهر أفئدتهم وقلوبهم، وكان عادة ينفّذ وصية الحق في كتابه المجيد مهما كان الثمن غاليًا، ثم عاد الشاعر بالمتلقي من توجيه الحديث إلى الشيخ نفسه، يخاطب مؤسسه العريق ذلك الصرح العلمي والقلعة المعرفية التي أنتجت عباقرة الفن، وأساطين البيان، ولا تزال –إلى قيام الساعة– تهب الدنيا قادة أمرها، وصناع قرارها، وحملة لواء العربية، هذا المركز هو الآخر عم خيره البلاد طولا وعرضا، وهو الذي بعث الأمل في قلوب اليائسين، فامتلأت أفواههم شكرًا، وأعطى الأفكار حرية كاملة أطلقها من الربقة التي رانت عليها منذ أمد بعيد، وأعجب الشيء أن المركز قام بهذه الأعمال الجليلة، وتلك المساعي النبيلة في وقت قلّ أن يسمح الزمان بمثله، وقد استولى المستعمرون على عرش البلاد، ثم إنه ظن أعادي الدين وخصماء لسانه المبين، أنه لا يطول به المكث حتى ينهار على سقفه، فكان الأمر خلاف ما يتوهّمون، وبئس ما كانوا يزعمون، كانوا يتربصون به ريب المنون، ويتمنون زواله وإطفاء نوره، حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة.

قوله: "إن البلاد تنورت بضيائه" فالمقصود بالبلاد الشعب المواطنون على سبيل المجاز العقلي ذي العلاقة المكنانية، وأما قوله: "هو من يجلّي النفس من أدرانها" فإسناد مجازي أيضا حيث أسند تجلية النفوس من درنها إلى ممدوحه، بل هو فقط يعمل على هذا الهدف ويسعى لتحقيق تلك الغاية فكانت تجلية القلوب والنفوس نتيجة عمله المتواصل وسعيه المستمر، إذن هو السبب في ذلك فجاز هذا الاستعمال مجازًا عقليًّا ذا العلاقة السببية، ونحو ذلك قوله: "حققت آمال العباد" موجها

إلى المركز خطابه فيه إسناد مجازي علاقته السببية والمكانية معًا، نفس الشيء في قوله: "حررت الأفكار من الأوهام" فإسناد تحرير الأفكار إلى المركز مجازي علاقته السببية كما سلف، وأما قوله في البيت الأخير: "ظلام يحسدك الزمان المرهف" لقد أسند فعل يحسد إلى الزمان وهو لا يعقل ولا يحسد حقيقة، ولم يكن صادر الحسد منه فعلا، ولكن جريا وراء المجاز العقلي ذي العلاقة الزمانية جاز له قول ذلك، إذ الذي يحسد المركز ليس الزمان وإنما الموجودون في زمانه، توحي هذه العبارة بمعنى المبالغة والشمول كأنه يقول إن العدو الحاسد لم يترك دقيقة أو لحظة أو ساعة من ساعات الدنيا إلا ويملأ قلبه حسدًا ونقدًا من إنجازات المركز.

وعلى شاكلة ما مرّ من النماذج تأتي هذه الأبيات تضفي ظلالا وارفة يتمتع فيها الشاعر ببراعة تلمس الوجوه في ترتيب أجزاء الكلام، وتعليق عناصر الجمل على اختلاف مواطنها حتى تتخذ شكلًا موحدًا، ويشعرك بما له من براعة الإبداع، تشهد بأنه كان قد أفرغ موضوعه إفراغًا جيدًا، وسبكه سبكًا واحدًا على سنة الأدباء الذين يراعون النسق العام لينتهي النص إلى وحدة فنية أو عضوية، وذلك يأتي برهانا ساطعا على أنه مرة أخرى ذو بصيرة ثاقبة، وملكة فياضة لبناء الكلام وأدائه، وسيزداد ذلك وضوحا عندما يقول:

"خُذْ عَوْدَكَ العَذْبَ يا قَوّالَ أَشْعارِ * وَنَشِّطِ القَلْبَ في أَفْواجِ أَخْبارِ
بِشـارَةُ الخَيْرِ فيها وَهِيَ دائِبَةٌ * تَجوبُ آفاقَها دَوْمًا بِأَنْـوارِ
إِنَّ الإِمـارَةَ في أَيّامِنا سَعِـدَتْ * وَحِفْظُها ذِمَّةٌ في كَفِّ قَهّـارِ
يا ابْنَ الأَميرِ الَّذي في عَهْدِهِ صَنَعَتْ * هَذي المَدينَةُ ما يُرْسى بِإِكْثارِ
بِـلادُنا إِنَّ قَوْمي وَهُمْ بَعْضُها * تَبْقى عَلى الرَّحْبِ في عِزٍّ وَإِيسارِ
أَجْلِبْ إِلَيْها مِنَ الخَيْراتِ أَوْفَرَها * يُذاعُ ذِكْرُكَ في أَفْواهِ أَعْمارِ"[٢١].

ويقف الباحث في هذه الأبيات يصفق إعجابًا بتلاؤم التعبير، إقرارًا بشاعرية هذا الأديب الذي لمع نجمه في أفق الفن والإبداع، ألا ترى كيف صاغ هذه القصيدة التي هنأ بها سمو الأمير إبراهيم بن ذي القرنين غمبري إبان تنصيبه أميرًا جديدًا لمدينة إلورن ١٩٩٥م، وطارت بشائره ولم تلبث أن طبقت جميع الأنحاء المعمورة، يعدّ الشاعر هذه التولية سعادة أبدية للإمارة وضواحيها، إذ هي آية تقدمها وازدهارها، ذاكرًا أن والد الأمير الجديد المتمثل في شخصية المرحوم المغفور له سمو الحاج ذو القرنين غمبري الأمير الأسبق، قد شهدت الإمارة في عهده تطورات ملموسة، وحققت إنجازات مشهودة، والمؤكد أن تتوقع المدينة خيرًا منها في عهد ابنه هذا، كما دلت الشواهد القوية التي

تطمئن إليها القلوب على أن الإمارة سوف ينعم أهلها، ويزول هولها، ويزداد فضلها، وقفى على آثار ذلك بنصيحة ثمينة لسمو الأمير أن يصدق شهادتهم فيه، ولا يخيب رجاءهم، بجلب الخير والمنافع بشتى الوسائل الممكنة، ومختلف العناصر إخلادًا لذكراه، وذكريات الآباء والأجداد.

ومن الأنماط المجازية المودعة في الأبيات المسوقة إلى سمع القارئ إسناده فعل "سعدت" إلى "الإمارة" وليست الإمارة هي التي سعدت في الحقيقة بل الذين فيها سرًا وراء المجاز العقلي ذي العلاقة المكانية، ومثل ذلك قوله: "صنعت هذي المدينة ما يرجى" إسناد غير حقيقي، إذ ليس من مقدرة المدينة أن تصنع ما يرجو المواطنون، بل الشعب وأبناء الوطن هم الذين يصنعون فالعلاقة هنا أيضا المكانية، ونفس الشيء في قوله: "بلادنا آن قومي وفت نعمتها" فالبلاد بالذات لا تشعر هي بالنعمة ولا بالنقمة، وإنما ينعم ساكنوها ومواطنوها، وذلك إسناد مجازي علاقته المكانية.

وأما قوله في البيت الأخير: "يذاع ذكرك في أفواه أعمار" فهل للأعمار أفواه؟ لا، وإنما ساق ذلك مساق المجاز العقلي قصدًا به أفواه الناس الذين يعمرون الإمارة، وهذا الإسناد غير حقيقي بل مجازي ذو العلاقة الزمانية.

ودونك صورًا مجازية أخرى من الديوان، يقول الشاعر:

"طاب مسعاك أحمد البيغوزي * فلهذا تحــاط بـالإنعام
فهنيئًا لكم لمشـلام من كا * ن حديث الخير في كل عام
خطة في الحياة خط سعيد * وابذر الخير في سبيل التقدام
أنـت اليوم عدة الغد حقا * لبناء العـلا وسعد السـلام
آل بيغوز لا تحيدوا عن الخيـ * ـر فأنتم سلالة الأمجام."

بدون تطويل ممل يدرك المتلقي لهذا النص الأدبي ما يحويه من نكتات بلاغية، وضروب مجازية، تخضع لخصائص أدبية وسمات فنية آسرة الألباب، فها هو ذا الشاعر في البيت الأول يسند فعل "طاب" إلى "مسعى ممدوحه" وليس من حقه أن يسنده إليه لولا مسوغات مجازية تجيز ذلك وتخلع عليه رداء الجمال والرونقة، دفعه الإحساس العميق، بتفخيم المعنى إلى تشكيل عديد من هذه الصور المجازية وتتخذ إحدى علاقاتها المصدرية وإطار المغزى، فتهبها قوة التفاعل على نحو ما تطلبها قوى القرائن، وتستدعيها الحال اعتبارًا مناسبًا، وهو تصوير رائع يلقي رؤية واضحة على مكانة ممدوحه (أحمد بيغوري)، فلفظه "مسعاك" مجاز، علاقته المصدرية للدلالة على العموم،

والشمول، والإحاطة حتى لا يبقى للممدوح حركة ولا سكون من مساعيه إلا وطاب سواء أعطى أو منع.

وتارة يفضل الشاعر العلاقة الفاعلية للتعميم كما هو الشأن في قوله:

حَظُّهُ فِـي الْحَيَاةِ حظٌّ سَعِيدٌ * وَافِرُ الْخَيْرِ فِي سَبِيلِ السَّدَادِ

والمراد بقوله: "حظ سعيد" أي: مسعود، وقوله: "وافر الخير" فالمقصود به موفور الخير جريًا وراء المجاز العقلي ذي العلاقة الفاعلية، وأما قوله: "أمل اليوم وعدة الغد" حيث أسند الأمل لليوم والعدة للغد إسناد غير حقيقي مرادًا بهما الإنسان الموجود في الوقتين للعلاقة الزمانية بين المعنى الأصلي والآخر المجازي.

وإلى هذا الديوان يعود بك الحديث - سيادة القارئ - وهو الآخر طما بحره، وتلاطم موجه بعديد من الوجوه المجازية ذات العلائق المتشعبة، والقرائن المتنوعة، دونك أولا نماذج المجاز العقلي ذي العلاقة السببية، يقول الشاعر:

أَزْمَةُ الْبِتْرُولِ قَدْ خَارَتْ قِوَانَا * كَيْفَ نُصْلَى بِالْأَسَى الْحَرْبِ الْعَوَانَا؟
نِعْمَةُ الْبِتْرُولِ قَـدْ بَدَّلَهَـا * نِقْمَةُ قَوْمِي فَـلَاقِينَا الْهَـوَانَا
إِنَّنَا نَشْقَـى وَفِـي جَنَاتِنَا * كُلُّ مَا يَسْعَدُ أو يُرْضِـي الْعَيَانَـا
أَيُّ حَظٍّ حَظُّنَا هَذَا الَّـذِي * يَجْلِبُ النَّحْسَ وَلَا يُعْطِي الْأَمَانَـا؟
أَسْعَدَ الْبِتْرُولُ قَـوْمًا بِالْهَنَـا * وَبِهِ يَـا قَوْمَـنَا نَشْكُـو الطَّغَانَا[٢٣].

تأمل كيف صوّر الشاعر المشكلة التي تعانيها ديار نيجيريا من جراء سوء تصرف وكلاء النفط، والنفط هذا ثروة غالية من الثروات التي امتن الله بها على أهل هذه البلاد فضلًا منه ونعمةً، فحولها هؤلاء الفجرة الكفرة نقمةً، فأصبحت لا تسمن ولا تغني من جوع، هذا،

لقد أسند الشاعر ألي تضعيف قوي المواطنين إلى أزمة البترول في قوله: "أزمة البترول قد خارت قوانا" كما أسند تبديل نعمة البترول نقمة إلى قومه عندما يقول: "نعمة البترول قد بدلها نقمة قومي"، وأسند كذلك الإسعاد إلى الثروات التي تكرّم بها المولى العظيم على هذه البلاد في قوله: "إننا نشقى وفي جناتنا كل ما يسعد"، وهكذا أسند جلب النحس إلى حظّ الشعب في قوله: "أي حظّ حظّنا هذا الذي يجلب النحس"، وأخيرًا أسند الشاعر إسعاد قوم إلى البترول في الدول الراقية كما في قوله: "أسعد البترول قوما يا هنا" وأنت تعلم يقينا أن هذه الإسنادات كلها غير حقيقية، وإنما هي مجازية عقلية ليست إلا، والعلاقة فيها جميعا السببية كما هي واضحة.

ومن المجازات العقلية ذوات العلاقة المكناية الواردة في هذا الديوان قوله:

تَـــــائِبَةٌ مَنْ هَمَّهُ وَصْفُهَا * يَخُـــونُهُ بَيَانُهُ رَاغِمَا
سبْتَمْبَرُ الْأَسْوَدُ شَهْرٌ غَدَا * يذكُرُهُ عَالَمُنَا نَاقِمَا[٢٤]

فقد أسند الشاعر فعل "يذكره" إلى "عالمنا" إسنادًا مجازيًّا ذا العلاقة المكانية، إذ العالم لا يعقل فيذكر تلك النائبة النكراء، وإنما يذكرها من فيه، ولا يخفى ما بين العالم والكائن فيه من صلة وقرب، إذ العالَم مكان يترعرع فيه الكائنات الحية، إذن العلاقة المكناية. ونظير ذلك قوله في موطن آخر:

إِنِّـــي أُحِبُّ بَلَاغَةَ الْفَيْتُورِي * وَالنُّوْرُ يلفِظُهُ فَــــمُ الْدُّيجُورِ
فريقيَا الْسَّوْدَاءِ نَالَتْ حَـظَّهَا * وَنُعُوتُهَا مِنْ شِعْرِهِ الْمَوْفُورِ[٢٥]

فإنه في البيت الثاني أسند فعل "نالت" إلى "أفريقيا" التي ما هي إلا بقاع وقطاع يقيم بها شعوب وقبائل من شتى أجناس البشر ذات التحديد الجغرافي والخصائص المتميزة، عرفا وتقاليد وعادات ولغات، فهذا الإسناد مما يسمّيه البيانيون بالمجاز الحكمي العقلي ذي العلاقة المكانية مرادًا بها أهلها وسكانها.

ومن ألطف شواهد المجاز العقلي (الحكمي) ذي العلاقة الزمانية في هذا الديوان (السباعيات) قوله:

فِي سَيِدِي عُمَرَ الْفَارُوقِ إِنَّ لَهَا * وَقْــعَا يُثِيرُ نُفُوْسًا فِي مَحَــاشِيهَا
نُعْـــوتُهُ فِي فَمِ الْأَزْمَـــانِ بَاقِيَةٌ * فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ لاَ تُبْلَى مَعَانِيهَا[٢٥]

فإسناد الشاعر نعوت الفاروق – رضي الله تعالى عنه – إلى فم الزمان في البيت الأخير ما هو إلا إسناد مجازي أراد به أهل الزمان، فهل يتخيل أحد أن للزمان فمًا ينطق به مفصحًا عما في صدره؛ وإذا كان الجواب: لا، فما المقصود إذن بالزمان حقيقة ولكن الموجودون فيه على سبيل المجاز العقلي ذي العلاقة الزمانية.

ومن نماذج المجاز العقلي الحكمي ذي العلاقة المصدرية في الديوان قوله:

فَشَلَ الْفَاشِلُوْنَ فِي الْاِنْتِخَابِ * فَدَعُوا قَوْمَهُمْ إِلَى الْاضْــطِرَابِ
قَـدْ أَدْارَتِ بِلَادَهُمْ دَوْلَةَ الْعَنَـ * ـفِ وَقَمْعِ الْمِثَارِ وَالْإِرْهَابِ[٢٧]

في البيت الثاني يرى الشاعر إسناد إدارة البلاد إلى الدولة إسنادًا مجازيًا، وهل الدولة هي التي تدير وإنما يدير رجالها، وعلاقة هذا المجاز مصدرية، والمصدر من شأنه يفيد العموم، والشمول، والإحاطة، والاستيعاب، محاولةً منه توبيخ الظواهر الكريهة، وكأنه لم يكن من رجالها من يسعى لمصالح الشعب، ومنافع الوطن الحبيب، ورجالها مكونون من أشرار وأخيار لذلك لم يسند الفعل

إليهم بل الأحرى والأنسب في مثل هذا الموقف أن يسند إلى المصدر تلك الصورة البشعة التي لا يرضى بها ذو أرب ولا حجا، للعلاقة المصدرة.

ومن نظيرة قوله في موضع آخر:

وَيُؤْلِمُ قَلْبِي أَنْ أَرَى الطِفْلَ بَائِسًا * وَتَـمْلأُ دُنْيَا الْمُتْرَفِينَ الرَّغَائِدُ
يُطَارِدُهُ الْحِرْمَانُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ * فَلَيْسَ لَهُ فِي أَمْرِهِ مَنْ يُسَاعِدُ[٢٨].

نظم الشاعر هذه القصيدة بمناسبة يوم الطفولة العالمي في ٢٧ مايو ٢٠٠٣م ليشارك الأطفال في فعاليات يومهم محتفلًا بهم، وهناك يبدو للشاعر الفرق الشائع والبون البائن بين أطفال الفقراء المعدمين، وأطفال الأثرياء المترفين، هذا يسكره ويطغيه السبع، وذاك يضربه ويقتله الجوع، وكلٌّ من هؤلاء وأولئك على مسرح الاحتفال بهذا اليوم، ولله دره روعةً أدبيةً، ما أروع أسلوبه، وما أوسع خياله، هذا طفل الفقير يمشي في الشوارع كأنه لم يكن من ماء وطين كالآخرين، كل شيء ضده، يطارده الحرمان على سبيل المجاز العقلي ذي العلاقة المصدرية، وناهيك ما ختم به الشاعر القصيدة، ختامها مسك، اصغ إليه:

وَيَسْمَعُ عِنْدَ النَّاسِ أَنْتَ زَعِيمُـنَا * غَدًا، وَالْغَد الْمَجْهُولِ لاَ شَكَّ فَاسِدُ
يَسعِيب تَضْيِيْعَ الصِّغَارِ جُهُودكُمْ * فَهَـــلْ تُرْتَجَى مِمَّن يُضِيعُ الْفَوَائِدُ؟

وعلى هذه الشاكلة من صورة المجاز الحكمي (العقلي) ذي العلاقة المصدرية ورد قوله:

إِنَّ اعتكَافَكَ فِي الصُّدُو * رِ يَفُلُّ حَــدَّ الْمَطْمَعَ
وَيُتِيـــحُ لِـلإنسان أَنْ * يَرْجُو طَرِيقَ الأَلْمَعِي[٢٩]

حيث أسند فِعْلَيْ "يفلّ" و"يتيح" إلى "اعتكافك" إسنادًا مجازيا غير حقيقي للعلاقة المصدرية.

ومن ملامح المجازات العقلية ذات العلاقة المفعولية الواردة في الديوان قوله:

هَذِهِ الدُّنْيَا عَجِيبٌ أَمْرُهَا * لِنَعِيمٍ كَامِنٍ فِي بَأْسِهَا[٣٠].

يعبّر الشاعر في هذا البيت عن أحوال الدنيا وظروفها التي لم تتسم بصفة معينة، وإنما هي ألوان وأشكال وضروب، ربّ أمرٍ ظاهره ضاحك وباطنه يبكي، والعكس كذلك، على هذا يفهم أن شأنها يعجب الناس، وصورة المجاز العقلي في البيت قوله: "عجيب أمرها"، وقوله: "النعيم كامن في بأسها"؛ فإن شأن الدنيا ليس هو الذي يتعجب وإنما معجب به، ولم يكن النعيم هو الذي كمن في البأس بل مكمون فيه، إذنّ في العبارة مجاز عقلي ذو العلاقة المفعولية.

ومن الأبيات المنطبقة على المجاز العقلي ذي العلاقة المفعولية أيضا قول الشاعر:

أَخْبَارُهُمْ فِي رُبُوْعِ الْأَرْضِ شَائِعَةٌ * أَيْنَ الَّذِي سَمِعَ الْأَخْبَارَ فَابْتَسَمَا؟[٣١]

محلّ الشاهد في هذا البيت المسرود، حيث ذكر الشاعر أن أخبار قومه شائعة في ربوع الأرض، فيما يلاحظ هل للأخبار أرجل تمشي بها، أم أجنحة تطير بها فنشى نفسها بنفسها؟ فتكون هي الشائعة، الأخبار لم تشع وإنما يشيعها الركبان، إذنْ أخبار قومه مشاعة على طريق الأداء الفني والتصوير البياني فيه إسناد مجازي علاقته المفعولية.

الخاتمة ونتائج البحث

تناول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسّلام على أشراف المرسلين نبينا مُحَمَّد زعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا. وبعد الانتهاء من كتابة هذه المقالة، توصل الباحث إلى التنائج الآتية منها:

- يعد الشاعر ألبي أبوبكر فحلا من فحول الشعر العربي النيجري الذين تمتاز أعمالهم الأدبية من حيث الجودة والدقة وحسن السبك ويعتبر أسلوبه من أرقى الأساليب من حيث القوة والوضوح والدقة في التفكير والتعبير.
- أن المجاز فن بياني مستقل عن الحذف الإعرابي الذي يدل معناه على الشمول، وأن لايكون هو في الكلمة نفسها، فالكلمة لم تخرج فيه عن وضعها اللغوي بعد، وإنما يكون في الإسناد.
- يتجلى في هذه الدراسة أن علاقات المجاز العقلي هي: السببية، أوالزمانية، أوالمكانية، أوالمصدرية، أوالمفعولية أوالفاعلية.
- يلاحظ أن الشاعر ألبي وافق لما ورد عن البلاغيين في أسلوب المجاز العقلي كما ورد في الأبيات السابقة.

الهوامش والمرجع

[١]: بودوفو، خليل الله مُحَمَّد عثمان. ٢٠١٤. *القضايا الإنسانية في شعر عيسى ألبي أبوبكر*. Word
Conference of Arabic at Dubai United Arabi Emirate.UNESCO in book ص٢.

[٩]: قدوس، عبدالله سليمان. المرجع السابق.ص١٠-١١.

[١٠]: القرآن. يوسف ١٢: ٨٢

[١١]: القرآن. الفجر٨٩: ٢٢.

[١٢]: التفتازاني، سعد الدين. د.ت. *شرح المختصر على التلخيص*. مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه بمصر. ص٢٣٣.

١٣: القرآن، يوسف ١٢: ٨٢

١٤: التفتازاني، سعد الدين. د.ت. *شرح المختصر على التلخيص*. مطبعة عيسى الحلبي وشركاؤه بمصر. ص٢٣٣.

١٥: أغاكا، عبد الباقي شعيب. *أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي*. المرجع السابق. ص٢٤٦.

١٦: عبد العزيز، عتيق. ٢٠٠٦م. *علم البيان*. المرجع السابق. ص.١٠١

١٧: ألبي، عيسى أبو بكر. *الرياض*. المرجع السابق. ص٤١-٤٢.

١٨: قصيدة أرسلها الشاعر من الرياض (المملكة العربية السعودية). ١٩٩١م. بمناسبة عيد الأربعين من تأسيس المركز الأم.

١٩: ألبي، عيسى أبو بكر. المصدر السابق. ص٦٣-٦٤.

٢٠: نمعجي، آدم. من تقريظه شرح تصريف الميداني. ٨٨.

٢١: ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص.٨٩

[٢٢] ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٩٢-٩١.

٢٣: ألبي، عيسى أبو بكر. *السباعيات*. المرجع السابق. ص٧٤.

٢٤: ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المصدر السابق. ص.٧٦

٢٥: ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المصدر السابق. ص.٨١

٢٦: ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المصدر السابق. ص٩٦. قالها الشاعر بعد قراءة كتاب (عبقرية عمر) للكاتب القدير عباس محمود العقاد.

٢٧: ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المصدر السابق. ص٦٦.

٢٨: ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المصدر السابق. ص٦٩.

٢٩: ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المرجع السابق. ص .٦٩

٣٠: ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المرجع السابق. ص.٥٣

[٣١] ألبي، عيسى أبو بكر. السباعيات. المرجع السابق. ص١٥٤.

النسيم

مجلة اللغة العربية والدراسات الأدبية

الترقيم الدولي: ١٨٥٧-٢٨١٤

إصدار شعبة اللغة العربية واللسانيات،
قسم اللغة الإنجليزية واللسانيات،
كلية الفنون والعلوم الإنسانية،
الجامعة الفدرالية، دوطي، ولاية جغاوا، نيجيريا

المجلد الأول، العدد الأول ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م